بسم الله الرحمن الرحيم

الذَّوْقُ الْعَامُّ: رُقِيُّ السُّلُوكِ وَجَمَالُ الْأَخْلَاقِ 12 جُمَادَى الْأُولَى 1448هـ

اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ كَمَا أَمَرَكُمْ؛ تَنَالُوا مَا وَعَدَكُمْ، قَالَ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِتَقْوَاهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: شَرَعَ اللهُ لِعِبَادِهِ أَنْوَاعًا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، وَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةٍ تُقَرِّبُ الْعَبْدَ مِنْ رَبِّهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، وَهَذِهِ الْعِبَادَةُ لَهَا فَضَائِلُ عَظِيمَةٌ وَكَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: بِهَا يَثْقُلُ مِيزَانُ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».

الثَّانِي: بِهَا يُدْرِكُ الْعَبْدُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ». أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».

الثَّالِثُ: قَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ فِي صَلَاتِهِ أَنْ يَنَالَهَا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَدَا ابْنِ مَاجَهْ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ».

الرَّابِعُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوصِي بِهَا صَحَابَتَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

الْخَامِسُ: بِهَا يَنْجُو الْعَبْدُ بِرَحْمَةِ اللهِ مِنَ النَّارِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

السَّادِسُ: مِنْ أَجْلِهَا بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِيَدْعُوَ إِلَيْهَا. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدِ اتَّصَفَ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ **بِأَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِهَا،** فَنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا قَوْمَهُ تِسْعَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجِهَارًا، صَابِرًا عَلَيْهِمْ، وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ كَرِيمًا، نَزَلَ بِهِ ضِيفَانٌ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ

بِعِجْلٍ سَمِينٍ حَنِيذٍ، وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ، وَيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِمَنْ كَانَ سَبَبًا فِي غُرْبَتِهِ وَسِجْنِهِ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ حَيِيًّا لَا يُرَى شَيْءٌ مِنْ جِلْدِهِ، وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَكْمَلُ النَّاسِ أَخْلَاقًا، وَصَفَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، نَشَأَ وَعَاشَ مُتَحَلِّيًا بِكُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، مُبْتَعِدٍ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ ذَمِيمٍ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَكَانَ ﷺ أَكْرَمَ الْخَلْقِ نَفْسًا؛ فَمَا رَدَّ سَائِلًا، وَأَطْلَقَهُمْ وَجْهًا، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. وَكَانَ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ وَفَاءً، إِنْ مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَتِهِ عَادَهُ، وَإِنِ افْتَقَدَهُ سَأَلَ عَنْهُ، وَكَانَ أَرْحَمَهُمْ قَلْبًا، يَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ إِذَا سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ كَرَاهَةَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ، وَأَلْيَنَهُمْ طَبْعًا، إِذَا دَخَلَ إِلَى بَيْتِهِ اشْتَغَلَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ. وَكَانَ ﷺ أَعْظَمَ النَّاسِ صَبْرًا، خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ وَالْحَجَرُ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ الْجُوعِ فَمَا اشْتَكَى، وَأَوْسَعَهُمْ عَفْوًا، قَاتَلَهُ أَعْدَاؤُهُ وَأَدْمَوْهُ، وَلَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ قَالَ لَهُمْ: «لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». وَكَانَ ﷺ أَوْفَرَ النَّاسِ حِلْمًا، آذَاهُ قَوْمُهُ فَسَأَلَهُ مَلَكُ الْجِبَالِ أَنْ يُطْبِقَ عَلَيْهِمْ جَبَلَيْنِ فَأَبَى، وَلَمْ يَضْرِبْ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ﷺ يَتَوَاضَعُ لِلصَّغِيرِ، وَيَغْرِسُ فِي قَلْبِهِ الْعَقِيدَةَ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

وَكَانَ ﷺ يَتَلَطَّفُ فِي تَعْلِيمِ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَيُظْهِرُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبِّهِ لَهُمْ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ.

وَكَانَ ﷺ لَا يُعَنِّفُ وَلَا يَتَكَبَّرُ، بَلْ صَدْرُهُ مُنْشَرِحٌ لِكُلِّ أَحَدٍ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: قَالَ أَبُو

رِفَاعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا.

وَكَانَ ﷺ رَفِيقًا بِالشَّبَابِ، مُشْفِقًا عَلَيْهِمْ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ».

وَكَانَ ﷺ رَؤُوفًا بِالنَّاسِ شَدِيدَ الْحِلْمِ بِهِمْ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».

وَكَانَ ﷺ كَرِيمَ الْيَدِ، وَاسِعَ الْجُودِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي.

وَكَانَ ﷺ يُجِلُّ صَحَابَتَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَيُعَظِّمُ مَكَانَتَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا حَدِيثِي السِّنِّ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَأُوصِيكُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ».

وَكَانَ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدُهُمْ عَادَهُ وَحَزِنَ لِمُصَابِهِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ، فَقَالَ: «أَقَدْ قَضَى؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَبَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَكَوْا.

ذَاقَ ﷺ مِنَ الْحَيَاةِ مُرَّهَا وَلَأْوَاءَهَا. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ».

وَرَبَطَ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا

شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ.

لَاقَى مِنَ الْمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ أَشَقَّهَا؛ نَشَأَ يَتِيمًا، وَأُخْرِجَ مِنْ بَلَدِهِ، وَحُوصِرَ فِي الشِّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَاخْتَفَى فِي غَارٍ، وَمَاتَ لَهُ سِتَّةٌ مِنَ الْوَلَدِ، وَتَبِعَهُ قَوْمُهُ فِي مُهَاجَرِهِ وَقَاتَلُوهُ، وَمَكَرَ بِهِ أَهْلُ النِّفَاقِ، وَسُقِيَ السُّمَّ، وَعُمِلَ لَهُ السِّحْرُ، وَكَانَ يَقُولُ ﷺ: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، [أَيْ: مِنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ]، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ [أَيْ: حَيَوَانٌ] إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ بِلَالًا كَانَ رَفِيقِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَمَا كَانَ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا شَيْءٌ قَلِيلٌ بِقَدْرِ مَا يَأْخُذُهُ بِلَالٌ تَحْتَ إِبْطِهِ.

عِبَادَ اللهِ: عَلَى هَذَا النَّهْجِ الْقَوِيمِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ سَارَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَكَانُوا ذَوِي خُلُقٍ جَمٍّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِيهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ فِي وَصْفِ حَالِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ و رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَعَهُ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ. وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِثَالًا يُحْتَذَى بِهِ فِي تَبْجِيلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ»: فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَا أَكْرَمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بِمِثْلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَدَمَاثَةِ الْخُلُقِ، وَأَصْلُ الْأَخْلَاقِ التَّوْحِيدُ، فَمَنْ فَقَدَهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِغَيْرِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ». وَإِذَا تَحَلَّى الْمُسْلِمُونَ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ صَلُحَ الْمُجْتَمَعُ، وَكَانُوا دُعَاةَ خَيْرٍ إِلَى الدِّينِ بِالْقُدْوَةِ وَالْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ.